

## محمد إقبال - شاعر الشرق والاسلام

١٣٨٩ - ١٨٧٣ - ١٣٥٧ - ١٩٣٨

الأستاذ مسعود الندوي

(تابع)



٦ - « مسافر » : مجموعة شعره الذي قاله أثناء سفره إلى أفغانستان سنة ١٩٣٢ على دعوة<sup>(١)</sup> من مليكها الشهيد الغازي نادر خان . وفيه تصامح لشبان بلاد الأفيان ورجالهم . ومما يسرنا ذكره بهذه المناسبة أن شباب الأفغان يدرسون شعره ويستفيدون من حكمه مثل شباب الهند . وقد بين لنا ذلك أستاذنا الجليل ، العلامة المحقق السيد سليمان الندوي - أمتنا الله بطول بقائه - الذي كان زميل شاعرنا في هذا السفر . وذكر لنا الأستاذ - أدامه الله - شيئاً كثيراً من مزايا محمد إقبال مما لا يتسع القام لذكره . ومما ذكره الأستاذ بوجه خاص أنه حينما زار محمد إقبال جلالة الملك نادر أول مرة في كابل جعلها بيكيان ساعة من الزمن ، والقوم صامتون يتظرون إلى مسلمين مخلصين ، أحدهما حكيم والآخر ملك ، يتكلمان بدوع العين ، لقد صدق من قال :

لسان عبي في الهوى وهو ناطق ودهم فصيح في الهوى وهو أعمى

٧ - بال جبريل ( طير الناجيريل ) : كان الشاعر باديء

ذي بدء يقرض في الأردية ، ولذلك ترى جميع عيون شعره من الأدوار الأولى في هذه اللغة . ولما سمعت فكرته ونضجت آراؤه اتخذ من الفارسية آلة لإبداء أفكاره وجمعها وسيلة لإداعة شعره في جزء غير يسير من أنحاء العالم الإسلامي ، ولذلك جاءت جميع دواوينه بعد « بانك درا » في اللغة الفارسية . وقد شدا يذكرها في بيت له من « بياض مشرق » ولله دره حيث قال :

(١) كان دعا جلالة ملك أفغانستان ، الأستاذة الأجيلاء : السيد

سليمان الندوي . والدكتور محمد إقبال والسر راس مسعود « حفيد السر سيد أحمد خان » لينشئ في تأسيس بنين الجامعة الأفغانية بكابل ، لكن النية عاجله رحمة الله رحمة واسعة وأدخله فراديس جناته .

تم كلنى زخيا بان جنت كشمير

دل از حريم حجاز ونواز شهر از است

إن جسمى ربحانة من رياض الجنة الأرضية كشمير<sup>(١)</sup> ،

والقلب منبته بلاد الله الحرام وأفانين الكلام مقتبسة من الحان شهرار .

لكن اللغة الفارسية ، حينما وسعت نطاق المعجبين بشعره في خارج الهند ، قلت من قرائه والمستفيذين من ينبوع حكمته في داخل البلاد ، وطالت شكوى أهلها من شاعرهم ، حتى إن بعض حماة الأردية أرادوا أن يفضوا من شعره الفارسي ، وتقول غيرهم أن الشاعر اختار الفارسية ليكون في مأمن من قوانين الحكومة الصارمة . لأجل هذا وذلك أراد الشاعر أن يمود « والموود أحمد » إلى الأردية ، ففشر سنة ١٩٣٢ هذا الديوان الذي بذ جمع دواوين شعره في الحكمة وتمتع الأفكار ومعظم مكانه فيه نتيجة ما شاهده وتأثر به خلال أسفاره إلى بلاد أوروبا ... لندن وباريس وروما والأندلس ... وبلاد العرب عام ١٩٣١ ، ولقد أجمع النقاد على أن صاحبنا كان شاعراً أو فلسفياً في مجاميع شعره السابقة ، لكنه حكيم في هذا الديوان ، لا غيره . ومن خصائص هذه المجموعة أن صاحبنا تناول المشايخ ( المروفين بـ « ملا » في الهند ) والتصوفين بالتقد اللاذع في غير واحدة من مكانه . شئ لم نره في مصنفاته السابقة . ومن ميزاته أنها تشتمل على معجزات التصائد التي أهمها صاحبنا في الأندلس وفلسطين حينما تكشفت لميتيه الحجب الظاهرية ورأى بعينه ما لا يتيسر لغيره أن يراه . لكن هذا الديوان ، على ما فيه من بدائع الحكمة ومشاهدات الأندلس وفلسطين ، ينقصه شئ عظيم ، وهو أن معظم المولمين بشعره لا يقدرّون على إدراك مغزى كلامه ، لكونه مصبوباً في قالب من الشعر التأنق والحكمة العميقة البالغة ، وإنما يتذوقه المتأدون والذين لهم ذوق في الشعر متأصل .

٨ - ونظراً إلى ذلك عنى بنشر ديوان آخر سماه « ضرب

كليم » ( ضربة موسى كليم الله ) أودعه آراءه في جميع شطب الحياة المصرية ، مجردة عن الفلسفة وزخارف الشعر ، بحيث يفهمه

(١) أصل الشاعر الحكيم كشمير من عائلة برهية . ثم تزوج أباه إلى بلدة سيالكوت في بنجاب . وفيها نشأ وترعرع وتعلم إلى أن انتقل إلى مدينة لاهور في آخر عهده بالطلب ثم استوطنها وبها توفي .

سرود رفتسه باز آید كدنه آید  
 نسمی از حجاز حجاز آید كدنه آید  
 سر آن روز كار این فقری - ذكر وانات راز آید كدنه آید  
 لیت شعری ، هل للنزعة المفقودة من رجعة ؟ ولا أدری ،  
 هل أجد بعد اليوم نسيم الريح التي تهب من جانب البلطحاء ؟  
 أما هذا القبر إلى الله فقد آن أوانه ودنا أجله ، فلا يعلم إلا  
 الله ، هل ينبغ في هذه الأمة حكيم آخر عالم بأسرار الكون  
 ودقائق الأمور ؟

وكذلك قوله على فراش المرض قبل وفاته بأيام :  
 بیشتی بیر آریاب بیم آست بیشتی بیر پاكان حرم آست  
 بکوبا مسلم هندی كدخوش باش  
 بیشتی فی سبیل الله بیم آست  
 هناك في الدار الآخرة جنة للذين يجودون بأموالهم ويضحون  
 بذات يدهم ، وجنة للزهاد والناسك المتقطين إلى ذكر الله .  
 رقل المسلم الهندي أن لا يجوز ولا يتألم ، فإن هناك جنة  
 أخرى غيرها ، ألا ، وهي التي ينعم بها على الذين يجاهدون في  
 سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

- 5 -

### آراءه وأظنه :

زريد الآن أن نترجم بعض آرائه في مختلف المسائل من  
 ديوانه (ضرب كليم) ، ليعرف القراء وجهة نظره في السياسة  
 والدين والأخلاق ، إلا أنه لا يمكن أن يبقى في الترجمة عشر  
 معشار الروعة والتأثير اللذين امتاز بهما شعره .

### الجهنم :

أنتى لأحد أن يتعلم أسرار الدين في الهند  
 لأن العمل والأفكار العميقة مفقودة فيها ؛  
 فلا تجد في المشتغلين بالعلم والتعليم حرية الفكر والتفكير السديد .  
 فتنبأ ، تمسكاً للعبودية وعدم التحقيق ؛

لا يغيرون أنفسهم فحسب ، بل يريدون أن يبدلوا كلام الله  
 ويحرفوا الكلم عن مواضعه ؛

كل من له أدنى إلمام بالأدب ، إن كان له حظ في المسائل الدينية  
 والسياسية المروضة على بساط البحث والنقد .

وقد فسر الشاعر الحكيم بنفسه اسم هذا الديوان (ضرب  
 كليم) بأنه « إعلان حرب على العصر الحاضر » وقد صدق  
 رحمه الله ، في هذا التفسير ، لأنه فنّد فيه آراء أهل الغرب  
 والتفرنجين وقطمها إرباً إرباً ، وانتقد جميع نظرياتهم السياسية ؛  
 فلا ريب أن (ضرب كليم) « إعلان حرب على العصر الحاضر »  
 وقد أجمع المتأدبون بأدبه والمتذوقون لشعره وحكمه على أن شاعر  
 الإسلام لم يجمع هذه الأفكار الثمينة في كتاب واحد . ومن  
 خصائص هذا الديوان أن حكيم الإسلام تعرض فيه لانتقاد  
 القاديانيين وغلالمهم (١) الكذاب ، فذكرهم غير مرة وكشف  
 النطاء عن دجلهم وكيدهم للإسلام والمسلمين . وذلك بأسلوبه  
 المعجز الدهش .

(٩) ارمانان حجاز (هدية الحجاز) : عنوان ديوانه الذي  
 ظهر بعد وفاته ، رحمه الله ، (بالتنين الفارسية والاردية) ، وقد  
 سماه هدية الحجاز ، لسبب خاص . وبيان ذلك أنه سافر إلى بلاد  
 أوربا مراراً وزار بعض بلاد العرب أيضاً ، لكنه ما قدّر له أن  
 يتشرف بزيارة الحرمين الشريفين ، على ما به من تيار مح الوجد والشوق  
 إلى زيارة بيت الله الحرام وقبر النبي صلى الله عليه وسلم . وكان  
 من أمنيته أن يتمتع بهما ، وقد وطد الزم على ذلك ، وجعل  
 يقرض أحياناً ومقطوعات شمرية ، مواجهاً بها بيت الله الحرام  
 ومثوى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فكأنى به كان يعد عدته  
 لتلك السفر اليمون وبهية الزاد الذي يقدمه إلى عشاق أدبه  
 والمنتئين بحكمه ، حين قوله من الزيارة المباركة ، إلا أن مرضه  
 الأخير قد أنهك قواه ، وبق يتقلب على أحر من الجمر زهاء عامين  
 يتجرع فمصم الزوى حتى وافاه الأجل المحتوم ، ولما يقض لبياته .  
 وفي أيام المرض المصيبة قد جادت قريحته بأبيات ومقطوعات  
 لا تنسى أبد الدهر . وإن نسى لا نفس البيتين اللذين رثى فيهما  
 نفسه ، وأنبأ المولمين بأدبه وشعره بدنو أجله :

(١) اسم هنا النبي الذي ظهر فساد دمواه في الحاقين ، غلام أحمد  
 والقادياني نسبة إلى قرية « قاديان » التي وفد فيها وتولى بها

ونحن نود أن نسأل الشيخ المتزلف إلى الكنيسة الغربية والاستعمار الغربي : أليست الحرب شرأ في الغرب ، إذا كانت كذلك في الشرق ؟

وإن كنت تريد الحق ، فهل يلين بك أن تحاسب الإسلام وتضرب صفحاً عن أعمال أوروبا وفظائع مقترفاتهما ؟

الاسلام الهنري :

حياة الأمة منوطة بوحدة الأفكار ، وما الوحي (١) الذي يمزق هذه الوحدة إلا ضلال وخرافة ، ولا ضمان لهذه الوحدة إلا القوة ؛ أما العقل والحكمة فلا يجران في هذا الشأن ساكناً ، لأن المسألة مسألة القوة ؛

ولكنك أيها المسلم ، لست في شيء من تلك القوة ، فأجل بك أن تلتجئ إلى كهف أو مغارة ، وخير لك أن تجتهد في إيجاد إسلام (٢) آخر ، يدعو إلى الفقر ، والعبودية ، واليأس الدائم . وبما أن الملا ، ( الشيخ ) قد أبيض له في الهند أن يركع ويسجد .

يزعم الأبله أن الإسلام حر في هذه الديار ( كأنني به لا يعرف من الدين إلا الركوع والسجود فقط ) .

محمد علي الباب :

كانت خطبة ( الباب ) بين يدي العلماء غربية ؛ كان المسكين يحرف أعراب ( السماوات ) عن موضعه ؛ وكان العلماء يتسمون ، ساكتين على خطأ ؛ فأجابهم إنكم لا تعرفون درجاتي العالية ؛ كانت آي القرآن محبوبسة في قفص ( الاعراب ) ؛ والآن حل أسارها لوسيلة ( إمامتي ) .

سعود النوري

( البقية في العدد القادم )

ما أبعد عن الحق هؤلاء الشيوخ والفقهاء وما أضل سبيلهم ا يرى هؤلاء « المبيد » أن كتاب الله ناقص لأنه لا يرشد إلى طريق التبودية .

المسلم الهنري :

يقول المنادك (١) إنه خان لوطنه

ويرى الانكياز أن المسلم متحول ومتكف وشريعة أصحاب (٢) النبوة ، تفتي

بأن هذا المسلم « العتيق البالي » كافر فلا أدري متى يرتفع صوت الحق ومن أي جهة ؟ وقابلي حائر قاتق أمام هذه الأقوال المتضاربة .

المجربار :

لقد أفتى الشيخ بأن هذا عصر القلم ، وأما السيف فلم يبق له اليوم عمل يذكر ؛

ولكنني أسائل حضرة الشيخ : أولاً يعرف هو أن هذه الموعظة لا تجدي اليوم بشيء في المساجد ، فأين السيوف والمدافع بأيدي المسلمين ؟

وإن كانت قلوبهم قد ذهبت عما في الموت من لذة ؛

ومن لي بالذين نجف قلوبهم خشية الموت ؛

حتى لا يرضوا أن يضحوا بنفوسهم تضحية الكفار ؛

من لي بهم أن ينفضوا عنهم غبار الجبن والطمول ؛

ويبدلوا مهجهم وأرواحهم بذل المسلمين المخلصين ؟

وما أحرى الذين يرتعد العالم خوفاً من آلائهم الجهنمية ،

أن يلقنوا الأمن والسلام ويدعوا إلى ترك « الجهاد » ،

« جهادهم » الباطل .

أو لا ترى أن أوروبا قد غرقت في بحار من حديد

للمحافظة على الباطل وجنوده ، واستعداداً للحرب (٣)

الضروس القادمة .

(١) أريد بالهناذك مشرك الهند من غير المسلمين أما « الهندوس » فالظاهر أنه خطأ شائع ، لأن « الهندوس » ( Hindus ) جمع « هندو » في الانكليزية بالين ( S ) ولعله قد جرى على أقلام كتاب العرب لتقلهم من اللغات الافرنجية .

(٢) يريد القاديانيين .

(٣) قيلت هذه الكلمة قبل الحرب الأخيرة بأعوام .

(١) إشارة إلى القادياني .

(٢) يريد ديناً آخر غير دين الاسلام الحق الذي دعت إليه الرسل الكرام عليهم السلام من لدن سيد البشر آدم عليه السلام ، إلى خاتمهم وسيدهم . ولانا وسيدنا النبي العربي الأبي صل الله عليه وسلم .